مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

تعقيد وفوضى السياسة الخارجية في الشرق الأوسط
« ديناميات التقارب السعودي الإيراني»

أحمد جلوب المياحي

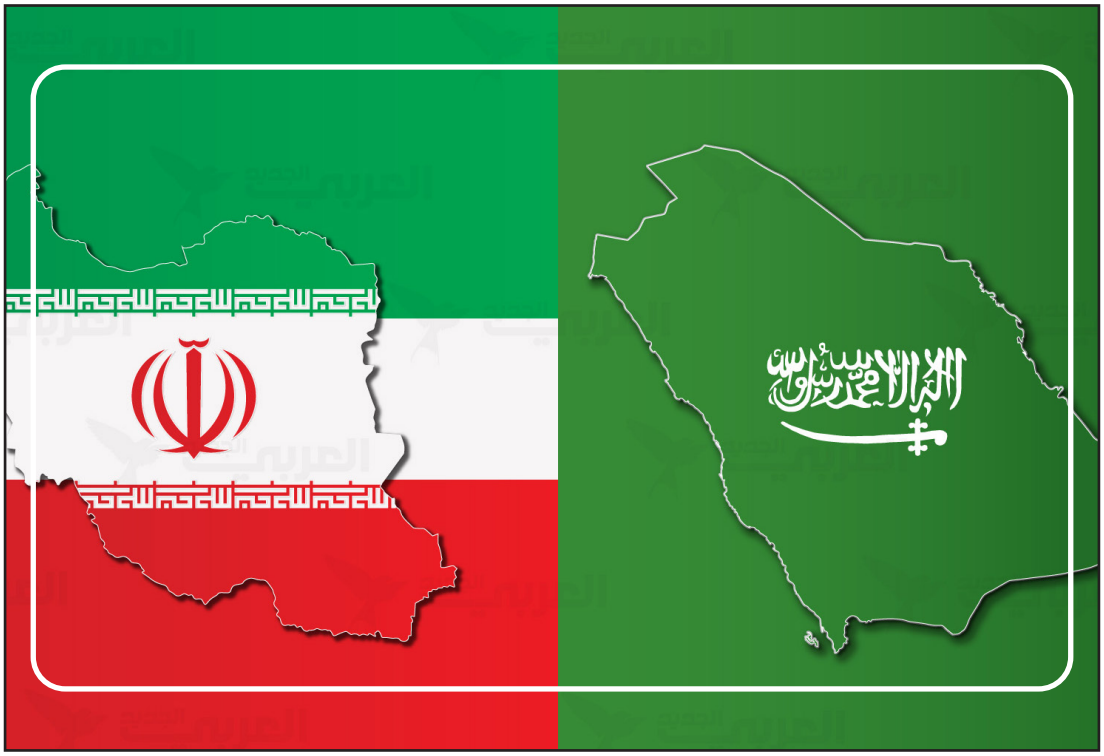

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

تعقيد وفوضى السياسة الخارجية في الشرق الأوسط « ديناميات التقارب السعودي الإيراني»

أحمد جلوب المياحي*

المقدمة:

تبحث هذه الورقة عن الإجابة عن السؤال التالي ماهي سبل تحسين سلوك الفاعلين في مجال السياسة الخارجية في منطقة الشرق الأوسط؟ للشرق الأوسط مكانة خاصة من حيث وجود المضائق والممرات المائية، وكذلك الطاقة مثل النفط والغاز. لذلك نرى تدخل قوى خارجية إقليمية فيه، كما شهدت هذه المنطقة أيضاً صراعات عرقية ودينية. لقد أضاف ظهور مجموعات هوية جديدة في المنطقة إلى خصوصيتها ولعبت جهات فاعلة غير رسمية دوراً فيها. كما يتجه الفاعلون في هذه المنطقة إلى التعاون والتقارب في نظام فوضوي ومعقد. تبحث هذه المقالة عن طريقة لتحسين سلوك الجهات الإقليمية.

1. نظرية الفوضى: لاحظ إدوارد ليدورين في عام 1960 أن الاختلافات الصغيرة في نظام ديناميكي مثل الغلاف الجوي يمكن أن يكون لها نتائج غير متوقعة. وطرح موضوع تأثير الفراشة. وأن الفوضى والاضطراب لا يعنيان عدم النظامية، بل تعني وجود جوانب عشوائية وغير متوقعة في الظواهر الديناميكية. تبحث نظرية الفوضى في سلوك بعض الأنظمة الحساسة جداً لحالتها الأولية. في هذا المنهج تكون العملية الفوضوية نتاج نظام ديناميكي غير خطي. كما تبحث هذه النظرية عن نظام وتوفر طريقة للعمل والتنبؤ في قلب الفوضى.

في نظرية الفوضى من المفترض أنه في الأنظمة المختلفة، النظام والفوضى يكمل كل منهما الآخر. في ضوء ذلك يبحث روزناو في ذلك وهو يعتقد أن تفاعلات السياسة العالمية التي تحدث دون تدخل الحكومات قد ازدادت بشكل أكبر. لذلك من الضروري الانتباه إلى وجود هيكل جديد. إذ تعتبر السياسة ما بعد الدولية مناسبة لها. كما تذكر مصادر التحول في السياسة العالمية خمسة عوامل هي:

(الانتقال من النظام الصناعي إلى ما بعد الصناعة، وظهور قضايا جديدة مثل تلوث الهواء

* طالب دكتوراه في جامعة طهران/قسم العلاقات الدولية.

ومشكلة التهريب والإرهاب، والحد من قدرة الحكومات على تقديم حلول مرضية للقضايا الكبرى، زيادة تماسك ونجاح النظم الفرعية وتعزيز الميول الجاذبة، ردود الفعل على عواقب جميع العوامل المذكورة على مهارات ومواقف الكبار في العالم)

2. تعريف السياسة الخارجية: هذا القول له مغزى في لتعامل مع الدول مع بعضها البعض، وتعني السياسة الخارجية، الأهداف العامة التي توجه أنشطة وعلاقات الحكومة في التفاعل مع الحكومات الأخرى. ويعني أيضاً العمل المخطط مسبقاً الذي يطبقه صناع القرار الحكوميون، يمكن أن تكون السياسة الخارجية مبادرة من حكومة أو رد فعلها على تصرفات الحكومات الأخرى. وفقاً لذلك تعني السياسة الخارجية متابعة أهداف الدولة في البيئة الدولية وفيما يتعلق بالمجتمعات والحكومات والدول الأخرى. تعمل السياسة الخارجية لدولة ما على تطوير نفوذها في البيئة الدولية، ويعتبر البعض هذه المسألة مماثلة للدبلوماسية، بينما الدبلوماسية هي أداة للسياسة الخارجية.

3. خصائص الشرق الأوسط: يشمل الشرق الأوسط منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا. تتعاون الجهات الفاعلة في الشرق الأوسط مع الجهات الفاعلة الإقليمية بشكل رسمي وغير رسمي. تلعب القوى الكبرى مثل الصين وروسيا والقوى الإقليمية مثل الهند وتركيا وإيران والقوى الضعيفة مثل نيبال ولاوس دوراً في هذه المنطقة. يسود الشرق الأوسط نظام متعدد الأقطاب في تحليل بوزان، فإن جميع الميول الساعية إلى التحالف لها جذورها في المنطقة، أي أن القيم الإقليمية تتحول ببساطة إلى التقارب والتحالف مع القوى العظمى في المناطق العابرة للحدود مع جيرانها. يتبع كل فاعل في الشرق الأوسط نهجاً مختلفاً وفقاً لمصالحه وتوجهاته السياسية والأيديولوجية.

يعتبر مجلس التعاون الخليجي أهم رمزية للإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، الذي يضم ممثلين مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين وقطر وعمان. إلى جوار العراق وإيران يمكن أن يدخلوا مراقبين أو اعضاء في حال تطور مستوى العلاقات بين المنطقة وقد يتحول إلى تشكيل أمني أو اقتصادي آخر يجمع الجيران النفطيين.

4. الشرق الأوسط وتعقيد سلوك الفاعلين: تعتبر هذه المنطقة تعددية من حيث وجود العديد من الجهات الفاعلة التي تسبب التعقيد في المنطقة وتحاول الحكومات اكتساب المزيد من القوة في المنطقة. للحصول عليه يستخدمون أيضاً أدوات الاتصال، وخاصة المجموعات الموجهة نحو الهوية.

وفقاً لكنث والتز فإنه لا يعرف الفاعلون مقدار القوة اللازمة لهم في بيئة ما، وهذا يفسر الوضع الفوضوي في الشرق الأوسط ويجعل الجهات الفاعلة تلجأ إلى نهج الأمن والسلاح. كما أن قضايا الحدود والسياسة الداخلية تزيد من تعقيد المنطقة. كذلك أدى وجود القوى الدينية إلى زيادة تأثير الدين في التعقيد. هذه العوامل تُسبب في بناء المؤسسات الإقليمية.

من ناحية أخرى تشهد المنطقة بعض المواجهات الأيديولوجية والسياسية، مما يشير إلى الظروف المعقدة للمنطقة والصراع بين مختلف الفاعلين. على سبيل المثال ترجع قضية اليمن أيضاً إلى عمق التوتر بين القوتين الإقليميتين، وهما إيران والسعودية.

5. الاستفادة من العقلانية المنهجية في السياسة الخارجية

في منطقة الشرق الأوسط تعتبر مسألة تحقيق النظام في قلب الفوضى وتطبيق العقلانية في التحليل أمراً مهماً. يتطلب الفحص العقلاني لسلوك المنافس وقوته وتأثير الفاعلين على أقرانهم تقييماً عقلانياً. في هذه الحالة تؤثر المنافسة على مجال السياسة الخارجية وفقاً للميول العقلانية.

في هذه المنطقة نرى السعي وراء التطلعات والهويات في الأجواء المضطربة للشرق الأوسط، وهو نوع من التفاعل المتزامن والثنائي الاتجاه بين الإجراءات المتكونة في المنطقة. هذا الأمر يعزز السياسة الخارجية ويخلق الفرص.

أحد قيود هذه المنطقة هو المنافسة الدينية، بما في ذلك الجماعات السنية والشيعية، ويمكن أيضاً رؤية المعارك العسكرية بينهما. عامل الدين متغير فعال في تباعد وتلاقي القوى في المنطقة. يجب على الفاعلين التضحية بالمصالح الجماعية من أجل المصالح الوطنية حتى يحدث التقارب

ففي الشرق الأوسط تسعى كل قوة إلى التفوق. والحل الأول هو فهم منهجي للمنطقة. أي يجب الانتباه إلى الحفاظ على الضروريات والمقتضيات ورفض الهويات المعقدة في المنطقة والاهتمام بالواقعية التي تحتاجها المنطقة، كما رأيناه في التقارب الإيراني السعودي عندما رأى الاثنان بواقعية إقليمية أنه لابد من تقاربهما من أجل مصالحهم الوطنية.

يعتمد السلوك النظامي الذي يتشكل من خلال فهم الحقائق والتطلعات، على فهم شبكة سلوكيات الجهات الفاعلة في النظام الفوضوي للشرق الأوسط، والتي من خلال التأكيد على المعايير المشتركة بين الجهات الفاعلة يمكن أن تخلق توافقاً أيديولوجياً فيما بينها. يجب أيضاً الانتباه

إلى الجوانب المختلفة للنظام والاهتمام بإدارة المشكلة. على سبيل المثال يعد اتباع نموذج الجهات الفاعلة المتعددة في المنطقة أحد استراتيجيات الإدارة المنهجية والتحول.

6. القدرة على التآزر والتعاون في الساحة السياسية

من الخصائص الأخرى للمناطق المعقدة والفوضوية مثل الشرق الأوسط أنها تقوم على نوع من نموذج الاعتماد الحساس. أي تغيير صغير وتدخل في المنطقة يمكن أن يكون له عواقب وخيمة. لذلك فإن تقارب الدول الأعضاء في منطقة الخليج للتعامل مع التدخلات الإقليمية يمكن أن يجلب السلام في المنطقة. وخاصة العمودين إيران والسعودية واخيراً دخلت قطر على الساحة التنافسية سواء في جانبها الديني أو الطاقوي. بالإضافة إلى ذلك فإن التفاعل مع النظام الدولي المعقد يتطلب مراعاة التوازن في نظام الشرق الأوسط والاستقرار الاستراتيجي بين الوحدات المشتركة لدول المنطقة. في الواقع يجب أن يصل نوع من عدم الاستقرار إلى مرحلة الاستقرار.

الانتماء في المنطقة عامل يسبب الفوضى في المنطقة. ينوي التآزر التأكيد على الروابط الجزئية والعامة والتأكيد على عملية التغذية الراجعة والروابط العنقودية. على سبيل المثال الفهم المشترك للتهديدات هو وسيلة لتعزيز السياسة الخارجية في المنطقة. فمثلاً من الضروري فهم مشترك للإرهاب وداعش بين دول المنطقة، ومن الضروري التعامل معه من خلال نهج شبكاتي يساعد على تعزيز السياسة الخارجية للمنطقة.

7. إدارة الصراعات الأيديولوجية

هناك العديد من الصراعات الأيديولوجية خاصة بين السنة والشيعة في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك هناك بعض المجالات المشتركة للتعاون، على سبيل المثال ما يحصل بين إيران ذات التوجه الشيعي ودول أخرى في المنطقة واعضاء مجلس التعاون الخليجي. وخاصة السعودية ذات التوجه السني الراديكالي. على سبيل المثال أحد التهديدات، هو التصورات الذهنية التي أوجدتها السلطات العالمية وبعض حكام المنطقة، هو التهديد المتصور للثورة الإسلامية في إيران. وهذا يجعل إيران ينظر إليها على أنها تهديد ويؤدي إلى أمن وعسكرة المنطقة لأن لديهم تصوراً خاطئاً عن إيران. كما يتحدى النهج الثوري الإيراني أيضاً المنطقة، التي تحتاج إلى الوصول إلى فهم صحيح لسياسة إيران وهذا. وبناءً على ذلك فإن فتح الحوار بين الأطراف عبر السياسة الخارجية والتوحد في مواجهة التدخلات الخارجية يمكن أن يكون بداية مشروع تعاون الطرفين. كذلك يمكن أن تكون

طريقة الفهم السلمي للبرنامج النووي لدول المنطقة، بما في ذلك إيران والذي يمكن حله من خلال المفاوضات والحوار. وهذا ما نشاهده الآن سواء مع السعودية أو امريكا ودول الترويكا.

النتيجة:

إن التحسن في النظام الفوضوي والمعقد يتطلب استخدام مقاربة منهجية وتفاعلية بين الجهات الفاعلة الموجودة في مسرح التطورات السياسية في الشرق الأوسط. من الضروري فهم الفرص والتهديدات في المنطقة من أجل تحقيق نظام جديد. إن تحسين السياسة الخارجية وزيادة القدرة على المناورة للجهات الفاعلة في هذه المنطقة يمكن أن يجلب لهم المزيد من الفوائد من خلال الاعتماد على التقارب والتعاون. هذا يعني أن الجهات الفاعلة لا تتخذ إجراءات مضادة حتى تتخذ إجراءً عدائياً وتهديدياً ضد طرف آخر، من جملتها الطرق التالية:

1. توضيح وتحديد مجالات التأثير الإقليمي بين الدول الفعالة (بما في ذلك إيران والسعودية وتركيا ومصر والعراق) على أساس المفاوضات والالتزامات الإقليمية.
2. تحديد المنظمات التي تنتمي إليها كل دولة والاعتراف بها رسمياً، وطبعاً إثارة مسألة عدم تشكيل أي من المنظمات المذكورة تهديداً للأمن القومي والقضايا الداخلية للبلدين.
3. منع تسييس القضايا بين مختلف الفاعلين.